او ارجحه العقل وقد قال بعض الحكما الزم الصمت تعد حكيما جاهلا كنت او عليما وقال بعض الادبا سعد من لسانه صموت وكلامه قوت وقال بعض العلما من اعود ما يتكلم به العاقل ان لا يتكلم الا لحاجته او لحجته و لا يفكر الا في عاقبته واخرته وقال بعض البلغا الزم الصمت فانه يكسبك صفو المحبة ويومنك سوء المغبة ويلبسك ثوب الوقار ويكفيك مؤنة الاعتذار وقال بعض الفصحا اعقل لسانك الا عن حق توضحه او باطل تدحضه او حكمة تنشرها او نعمة تشكرها وقال الشاعر

رايت العز في ادب وعقل ... وفي الجهل المذلة والهوان

وما حسن الرجال لهم بحسن ... اذا لم يسعد الحسن البيان

كفى بالمرء عيبا ان تراه ... له وجه وليس له لسان

واعلم ان للكلام شروطا لا يسلم المتكلم من الزلل الا بها ولا يعرى من النقص الا ان يستوعبها وهي اربعة فالشرط الاول منها ان يكون الكلام لداع يدعو اليه اما في اجتلاب نفع او دفع ضرر والشرط الثاني ان ياتي به في موضعه ويتوخى به اصابة فرصته والشرط الثالث ان يقتصر منه على قدر حاجته والشرط الرابع ان يتخير اللفظ الذي يتكلم به فهذه اربعة شروط متى اخل المتكلم بشرط منها فقد اوهى فضيلة باقيها وسنذكر تعليل كل شرط منها بما ينبي عن لزومه فاما الشرط الاول فهو الداعي الى الكلام فان ما لا داعي اليه هذيان وما لا سبب له هجنة ومن سامح نفسه في الكلام اذا عن ولم يراع صحة دواعيه واصابة معانيه لم يحصل منفعة توازي ضرره كان قوله مرذولا ورايه معلولا كالذي حكي عن عايشة رضي الله عنها ان شابا كان يجالس الاحنف ويطيل الصمت فاعجب ذلك الاحنف فخلت الحلقة يوما فقال له الاحنف تكلم يا ابن اخي فقال يا عم ارايت لو ان رجلا سقط من شرفة ... مستورا ثم تمثل الاحنف

فكان قبل الكلام

يقول

بقول الاعور الشني حيث يقول

وكم من تر امن صامت لك معجب ... زيادته او نقصه في التكلم

لسان الفتى نصف ونصف فواده ... فلم يبق الا صورة اللحم والدم

وكالذي حكي عن ابي يوسف الفقيه ان رجلا كان يجلس اليه ويطيل الصمت فقال له ابو يوسف الا تسال فقال بلى متى يفطر الصايم فقال اذا غربت الشمس فقال فان لم تغرب الى نصف الليل فتبسم ابو يوسف ببيت الحطفي جد جرير

عجبت لازرا العيي بنفسه ... وصمت الذي قد كان بالعلم اعلما

وفي الصمت ستر للعيي وانما ... صحيفة لب المرء ان يتكلما

قال القاضي ابو الحسن رحمه الله تعالى ومما اطرفك به عني انني كنت يوما في مجلسي بالبصرة وانا مقبل على تدريس اصحابي اذ دخل شيخ مسن قد ناهز الثمانين او جاوزها فقال لي قد قصدتك في مسئلة اخترتك لها فقلت سل عافاك الله وظننته يسال عن حادث نزل به فقال اخبرني عن نجم ابليس ونجم ادم ما هو فان هذين لعظم شانهما لا يسال عنهما الا علماء الدين فعجبت وعجب من في مجلسي من سواله وبدر اليه منهم بالانكار والاستخفاف فكففتهم وقلت هذا لا يقنع مع ما يظهر من حاله الا بجواب مثله فاقبلت عليه وقلت يا هذا ان المنجمين يزعمون ان نجوم الناس لا تعرف الا بمعرفة مواليدهم فان ظفرت بمن يعرفك ذلك فاساله فقال لي جزاك الله خيرا ثم انصرف مسرورا فلما كان بعد ايام عاد وقال لي ما وجدت الى وقتي هذا من يعرف مولد هذين فانظر الى هولاء كيف ابان الكلام عن جهلهم واعرب السوال عن نقصهم اذ لم يكن لهم داع اليه ولا رغبة فيما تكلموا به ولو صدر عن روية ودعى اليه داع لسلموا من سببه وتنزهوا من عيبه ولذلك قال النبي صلى

جهلهم

Copyright © King Saud University